نصائح وإرشادات إلى الشكر دُبُر العبادات

2023-06-30

الحَمْدُ للهِ العَزِيزِ الغَفُورِ، الحَلِيمِ الشَّكُورِ؛ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ، وَيَسْتُرُ العُيُوبَ. يُقِيلُ العَثَراتِ، وَيُجِيبُ الدَّعَواتِ، وَيُكَفِّرُ الخَطِيئاتِ، وَيَرْفَعُ الدَّرَجَاتِ، وَهُوَ الغَنِيُّ الكَرِيمُ، نَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ وَآلاَئِهِ، وَنَشْكُرُهُ عَلَى عَطَائِهِ وَإِحْسَانِهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ؛ فَرَضَ العِبَادَةَ لِمَصَالِحِ العِبَادِ، وَشَرَعَ المَنَاسِكَ لِنَفْعِ النَّاسِ. فقال في سورة الحج: ((لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ)). وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَصَفِيُّهُ وَخَلِيلُهُ، خَيْرُ مَنْ أَدَامَ الصِّـلَةَ بِرَبِّ العَالَمِينَ، وَعَبَدَ اللهَ حَتَّى أَتَاهُ اليَقِينُ، فَكَانَ قُدْوَةُ الصَّابِرِينَ، وَأُسْوَةُ السَّالِكِينَ،

يَا أُمَّةَ المُصْطَفَى البُشْرَى تَحِقُّ لَنَا * لأَنَّ ذَا العَرْشِ بالمُخْتَارِ فَضَّلَنَا

وَبِالصَّلاَةِ عَلَيْهِ قَدْ تَخَوَّلَنَا * إِنْ شِئْتُمُ أَنْ تَنَالُوا عِزَّ جَانِبِهِ

صَلُّوا عَلَى المُصْطَفَى يَا مُؤْمِنِين بِهِ

اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد. الذي يزول برؤيته عن القلب الرّان ويُشْفَى العليل. وعلى آله ذوي التعظيم والتبجيل. وصحابته وجميعِ أمّته الموسومين بالغرّة والتحجيل. صلاة يفيض بها علينا بحر فضلك وكرمك الجزيل. ونكون بها ممّن لا ينحرف قلبه عن طريق الحقّ ولا يميل. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا رب العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. إنّ من أحبِّ الأعمال إلى الله تعالى بعد العبادات شكره وحمده والثناء عليه بما هو أهله، فالعبادة هو من هدَى إليها، وهو من وفَّق لأدائها، وهو من يقبلُها ويثيب عليها، وهو من يتجاوز عن التقصير في أدائها، وَيَتَكَرَّرُ فِي القُرْآنِ خَتْمُ آيَاتِ الشَّرَائِعِ وَالأَحْكَامِ بِذِكْرِ اللهِ تَعَالَى وَشُكْرِهِ عَلَيْهَا؛ فَفِي آيَاتِ الصِّيَامِ. قال الله تعالى في سورة البقرة:

((وَلِتُكْمِلُوا العِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)). وَفِي آيَاتِ الحَجِّ. قال الله تعالى في سورة البقرة: ((وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ)). وبعد آية أحكام الوضوء والطهارة قال تعالى في سورة المائدة: ((مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ))، وَفِي آيَاتِ كَفَّارَةِ اليَمِينِ. قال تعالى في سورة المائدة: ((ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)). وَفِي بَيَانِ الحَلاَلِ وَالحَرَامِ. قال الله تعالى في سورة يونس: ((قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ)). أيّها المسلمون. وَلَمَّا كَانَتْ مَنَافِعُ المَنَاسِكِ كَثِيرَةً، وَكَانَتْ شَعَائِرُهَا كَبِيرَةً؛ جَاءَ القُرْآنُ بَتَكْرَارِ الشُّكْرِ فِي آيَاتِهَا؛ فالبَيْتُ الحَرَامُ مَوْضِعُ المَنَاسِكِ وَالمَشَاعِرِ قَدْ كُلِّفَ بِبِنَائِهِ عَبْدٌ مِنْ عِبَادِ اللهِ القَانِتِينَ الشَّاكِرِينَ، وَهُوَ الخَلِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ؛ إِذْ وَصَفَهُ اللهُ تَعَالَى فَقَالَ في سورة النحل: ((إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ)). وَالغَرَضُ مِنْ بِنَاءِ البَيْتِ أَدَاءُ العِبَادَةِ فِيهِ شُكْرًا للهِ تَعَالَى، كَمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ دَعْوَةُ بَانِيهِ عَلَيْهِ السَّلاَمُ. كما في سورة إبراهيم: ((رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ)). وَفِي أَيَّامِ الحَجِّ شَرَعَ اللهُ تَعَالَى التَّقَرُّبَ إِلَيْهِ بِذَبْحِ الأَنْعَامِ وَهُوَ وَاهِبُهَا وَمُسَخِّرُهَا، وَيَأْجُرُهُمْ عَلَيْهَا، وَعُلِّلَتْ نِعَمُ تَذْلِيلِهَا وَتَسْخِيرِهَا بِالشُّكْرِ. فقال تعالى في سورة يس: ((أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ)). كَمَا عُلِّلَتْ نِعَمُ التَّقَرُّبِ إِلَى اللهِ تَعَالَى بِذَبْحِهَا وَنَحْرِهَا بِالشُّكْرِ. قال الله تعالى في سورة الحج: ((وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا

وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)). فَهِيَ مِنَ اللهِ تَعَالَى وإِلَيْهِ، وَنَتَقَرَّبُ بِهَا إِلَى اللهِ تَعَالَى وَتَعُودُ إِلَيْنَا، فَنَنْتَفِعُ بِهَا. قال تعالى في سورة الحج: ((لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ)). أيّها المسلمون. فَحَرِيٌّ بِنَا وَنَحْنُ نُوَدِّعُ هَذَا المَوْسِمَ الكَبِيرَ، أَنْ نَلْحَظَ نِعَمَ اللهِ تَعَالَى عَلَيْنَا فِيهِ، وَفِيمَا شَرَعَ فِيهِ مِنَ الشَّعَائِرِ والمَنَاسِكِ، وَفِي كُلِّ أَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ وَأَبْوَابِهَا وَتَفْصِيلِهَا؛ فَإِنَّنَا إِذَا اسْتَشْعَرْنَا ذَلِكَ لَهَجْنَا للهِ تَعَالَى حَامِدِينَ شَاكِرِينَ، وَأَتَيْنَا مَوَاطِنَ الحَمْدِ والشُّكْرِ، وَجَانَبْنَا مَوَاضِعَ الجُحُودِ وَالكُفْرِ. قال الله تعالى في سورة غافر: ((إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ)). وَكُلُّ عَمَلٍ صَالِحٍ نُوَفَّقُ إِلَيْهِ فَهُوَ بِعَوْنِ اللهِ تَعَالَى وَهِدَايَتِهِ وَتَوْفِيقِهِ، وهَذَا هُوَ مَعْنَى ((إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ))؛ أَيْ: نَسْتَعِينُ بِكَ رَبَّنَا فِي كُلِّ أُمورِنَا حَتَّى فِيمَا أَمَرْتَنَا بِهِ مِنْ عِبَادَتِكَ، وَلَوْلَا عَوْنُكَ لَمَا عَبَدْنَاكَ، وَمِنْ ذَلِكَ وَصِيَّةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمُعَاذٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. وهي له ولأصحابه، كما روى أبو داود، أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: ((يَا مُعَاذُ، وَاللهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ، فَلَا تَدَعَنَّ أَنْ تَقُولَ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ)). وتأمّلوا رحمكم الله حال رسولنا صلى الله عليه وسلم مع الشكر، فيما رواه البخاريُّ ومسلمٌ، من حديث السيّدة عائشة أمّ المؤمنين رضي الله عنها. قالت: ((كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم إذَا صَلَّى قَامَ حَتَّى تَفَطَّرَ رِجْلَاهُ، قَالَتْ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَتَصْنَعُ هَذَا وَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، فَقَالَ: يَا عَائِشَةُ أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا)). أيّها المسلمون. ولْيَكُن مسكَ الختامِ، معشرَ الإخوةِ الكرامِ: ترطيبُ أَلْسِنَتِكُمْ بِالصلاةِ والسلامِ، علَى خيرِ الأنامِ، امتثالاً لأمرِ الملكِ القُدُّوسِ السَّلامِ، حيثُ قَالَ في أصدَقِ قيلٍ وأحسنِ حديثٍ وخيرِ كلامٍ:((إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً)). اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وسَلَّمْتَ عَلَى سَيِّدِنا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنا

إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنا إِبْرَاهِيمَ، فِي العَالَمِينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وارضَ اللهمَّ عن الأربعةِ الخلفاءِ الراشدينَ؛ والأئمّةِ الحنفاءِ المهديِّينَ، أُولِي الفضلِ الجليِّ؛ والقدرِ العليِّ. ساداتنا وموالينا: أبي بكرٍ الصّدِّيقِ؛ وعمرَ الفاروقِ؛ وذي النُّورَيْنِ عُثمانَ؛ وأبي السِّبطَيْنِ عليّ. وارضَ اللهمَّ عن آلِ بيت نبيِّكَ وأزواجِه المُطَهَّرِينَ مِنَ الأرجاسِ؛ وصحَابَتِهِ الصفوةِ الأخيارِ من النَّاسِ. اللَّهُمَّ أَعِنّا عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ. اللهم اجعلنا من الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ. أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ. ولا تجعلنا من الْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا. الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا. اللَّهُمَّ وفِّقْنَا للمداومة على الأعمالِ الصالحاتِ، وفعل الخيرات، وترك المنكرات. اللهم حبِّب إلينا الإيمان وزيِّنه فى قلوبنا، وكرِّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان، اللهم إنّا نسألك زيادة في الدين. وبركة في العمر. وصحّة في الجسد. وسَعَة في الرزق. وتوبة قبل الموت. وشهادة عند الموت. ومغفرة بعد الموت. وعفوًا عند الحساب. وأمانًا من العذاب. ونصيبا من الجنّة. اللهم ولا تحرمنا النظر إلى وجهك الكريم. اللَّهُمَّ أَحْسِنْ عَاقِبَتِنَا فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا، وَأَجِرْنَا مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الْآخِرَةِ. رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ. رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ. اللهم إنّا نسألك الهدى والتّقى والعفاف والغنى. اللهم أصلح لنا نياتنا، وبارك لنا في أزواجنا وذرياتنا، واجعلهم قرة أعين لنا، واجعل التوفيق حليفنا، وارفع لنا درجاتنا، وزد في حسناتنا، بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين يا ربّ العالمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين. اهـ